

منشئ المجلة

إيطون الجبيل

الشمس

المدير المسؤول

امين تقى الدين

الجزء الثاني

ابريل (نيسان) ١٩١٢

السنة الثالثة

الكهانة

اذا كان سعادة اسكندر عمون بك من مشاهير رجال القانون فهو ايضاً من كبار الكتاب العارفين آداب اللغة كل المعرفة . واذا كان اشتغاله بالقضاء فالحاماة قد صرفه عن معالجة المواضيع الكتابية ، فان له في عهده الأول آثاراً ادبية تدل على تمكنه من صناعتي النظم والنثر . ولقد ظفرنا ببعض تلك الآثار وسنشرها بادئين بالفصل التالي وقد كتبه حضرته منذ نحو من خمس وعشرين سنة وهو مقتبس من مواد كثيرة كان سعادته قد اعتنى بجمعها واعدادها لوضع كتاب مطول في تاريخ العرب قبل الاسلام :

الكهانة في اللغة القضاء بالغيب . والكاهن هو الذي يتعاطى الخبر عن الكائنات في مستقبل الزمان ، ويدعي معرفة الاسرار . وقد اختلف العلماء في وجه سبب الكهانة ؛ فمنهم من قال ان نفس الانسان اذا صفت وتغلبت على الجسم ، اطلعت على اسرار الطبيعة . ولذلك كان اكثر الكهان معتلي الاجسام ، بتغلب النفس فيهم على المادة ، كما اتصل بنا عن « شق » و « سطيح » و « عمران » وغيرهم من الكهان المشهورين .

ومنه من قال : انّ وجه سبب الكهانة من الوحي الفلكي ؛ ولعلّ ذلك خاص بالمنجمين دون غيرهم من الكهان . ومنهم من قال : ان للكاهن تابعاً من الجن ، ورئياً يلقي اليه الاخبار . وهو القول المشهور عندهم ، المعتمد في الاسلام . وقد جاء في صحيح البخاري عن النبي : أن الملائكة تتحدث في العنان (أي الغمام) بالأمر يكون في الارض فتسمع الشياطين الكلمة فتقرّها في أذن الكاهن ، كما تقرّ القارورة ، فيريدون معها مائة كذبة . وقال الله في كتابه : يوحى بعضهم الى بعض زخرف القول غروراً . وقال : وان الشياطين ليوحون الى أوليائهم ليجادلوكم (الآية) . وقال الازهري : كانت الكهانة في العرب قبل مبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ فلما بُعث نبياً وحرس السماء بالشهب ، ومنعت الجن والشياطين من استراق السمع والقائه الى الكهان ، بطل علم الكهانة . وقال الله في كتابه : وانا لمسنا السماء فوجدناها ملئت حرساً شديداً وشهباً وكان للكهانة في الجاهلية شأنٌ عظيم لشدة اعتقاد القوم بها . فكان الواحد منهم اذا ضلّت له ضالة ، أو سرق له شيء ، أو همّ بأمرٍ ذي بال أو أصيب أحد من أهله بمرض ، يذهب الى الكاهن فيستطلع منه ما يجب الوقوف عليه من مكان الضالة ، أو محل السرقة ، أو مال الامر ، أو دواء المريض . وكانوا يقصدون الكهان بنوعٍ اخصّ لأجل تفسير الاحلام المؤثرة ، لأنهم كانوا يعتقدون انها نباٌ روحاني عما سيقع لهم من الأمور الخطيرة في مستقبل الزمان . وكانوا يحترمون أقوال الكهان فيما يسألونهم عنه ، فلا يخالفون لهم رأياً . وكان الكهان يتوخون السجع

في كلامهم ، لانه أوقع في النفوس ، فيستصغنون الى أقوالهم الاسماع ، ويستميلون بها القلوب . . . أقول : وربما كان الغرض الاول من التزام السجع ترك الكلام مبهماً غامضاً ، لان المتكلم اذا التزم في كلامه قافيةً ، سواء كان الكلام نظماً أو ثراً ، يباح له من الإبهام في أقواله ما لا يباح لغيره . وكل متكلم محتاج الى ذلك الإبهام

وقد اشتهر في الجاهلية عدد من الكهان ، أكثرهم في بلاد اليمن . فكان العرب يقصدونهم من أطراف البلاد لاستطلاع الغيب منهم في الأمور العظام ، غير معتمدين في ذلك على الكهان الذين بين ظهرانيهم . ثم اذا صدقت الحوادث شيئاً من ظنونهم ، وصحَّ شيء من أقوالهم ، تناقلت الالسنه الخبر ، وزادت عليه الرواة من الحكايات المختلفة أضعاف أضعاف الحقيقة ، فتزداد بذلك شهرتهم . وربما نسبوا اليهم أموراً في أزمنة لم يكونوا موجودين فيها ، كما نسبوا الى سطيح الكاهن أنه أنذر باستيلاء الحبشة على اليمن قبل الاستيلاء بسبعين سنة . ثم أول رؤيا الموبدان بعد مولد النبي . ولذلك اقتضى الامر ان يجعلوا عمره نحواً من ثلثمائة سنة . وقد عنَّ لقوم أن يجعلوا مولده قبل ظريفة الخبير كاهنة عمرو مزيقيا ، لكي تنفل هذه الكاهنة في فيه ، فينتقل اليه علمها ولذلك اضطروا أن يمدوا عمره الى ستة قرون أو أكثر

و « سطيح » هذا أشهر كهان الجاهلية . ثم يليه « شق » وكانا متعاصرين . وممن اشتهر قبائهما ظريفة الخبير كاهنة عمرو مزيقيا ملك اليمن الذي تفرقت الازد في عهده بسبب سيل العرم ؛ وعمران الكاهن أخو

عمرو المذكور؛ وعمران هو أول من رأى في كهانته أن قومه سوف
يمزقون كل ممزق، ويباعد بين أسفارهم. ثم رأت ظريفة في كهانتها نبأ
السيل، فاندرت عمرواً. ومن الكهان الذين اشتهروا في آخر زمن الجاهلية
سملقة وزوبعة وحرثة بنت جهينة وكاهنة باهلة وسديف بن هرماس،
وغيرهم ممن يضيق بنا المقام عن ذكر أخبارهم

ولنذكر هنا شيئاً من أخبار «سطيح» الكاهن على سبيل الانموذج
والمثال، لاسيما وأنه كان عند القوم بمنزلة صيرته أمام الكهانة، فاصبحت
أخباره جزءاً من تاريخ الكهانة نفسها

قالوا: هو ربيع بن ربيعة بن مسعود بن مازن بن ذئب بن عدي
ابن مازن بن غسان، وسمي سطيحاً لعجزه عن القعود والقيام، فكان أبدأً
منبسطاً منسطحاً على الأرض؛ ولما كان ذلك الرجل عجيباً عندهم في كهانته،
اقتضى الأمر أن يكون كل شيء متعلق به عجيباً أيضاً. فكما أنهم زعموا
أن شقاً كان نصف إنسان، له يد واحدة ورجل واحدة وعين واحدة؛
كذلك زعموا أنه لم يكن في جسم سطيح عظم سوى الجمجمة؛ ولذلك كان
يخرج سائر جسده كما يخرج الثوب. وقالوا إن الجمجمة نفسها كان يلين
عظمها إذا لمست باليد وأنه كان إذا غضب اشتدت أوصاله فينتصب
قاعداً ويبقى كذلك إلى أن تسكن سورة غضبه. وقد ذكرنا أقوالهم في
طول عمره. وقد زعموا أنه خرج مع من خرج من اليمن في أيام سيل
العرم ومات في أيام كسرى أنوشروان

وأول ما تكهن به سطيح أنه كان نائماً مع أهله في ليلة سهاكية

مظامة ، فاذا هو قد زعق من بينهم ورنّ وتأوّه وقال : والضياء والشفق ،
والظلام والغسق ، ليطرفنكم ما طرق . قالوا : ما طرق يا سطيح . قال :
ما طرق إلا الأجلح ، حين سرى الليل البهيم الأفلح ، وولاهم فيه دح .
قالوا : وما علامة ذلك يا سطيح . قال : امر بسد النقرة ذوحبة في الوجرة
وحرّة بعد حرّة ، في ليلة قرّة . فلم يكثرثوا لقوله ، وتعاصفت مدود من
أودية هنالك ، فجاءتهم في ليلة قرّة كما ذكر ، فساخت الانعام والمواشي
وكادت تذهب بعامتهم

ومن اشهر ما يروى عن سطيح تأويله رؤيا ربيعة بن نصر ملك
اليمن اذ أنذر باستيلاء الحبشة على بلاده . وذلك ان ربيعة رأى رؤيا
هالته ، فلم يدع كاهناً ولا ساحراً ولا عائفاً ولا منجماً من اهل ملكه الا
استدعاه اليه ، فلما اجتمعوا في داره قال لهم اني قد رأيت رؤيا هالتي
وفظعت بها ، فأخبروني بها وتأويلها . فقالوا قصّها علينا نخبرك بتأويلها .
قال اني ان اخبرتكم بها لم اطمئن الى خبركم عن تأويلها انه لا يعرف
تأويلها الا من عرفها قبل ان اخبره بها . فقال له رجل منهم ان كان الملك
يريد هذا فليبعث الى سطيح وشق اذ ليس احد اعلم منهما ، فهما يخبراناه
بما سأل عنه . فبعث الملك اليهما . فقدم عليه سطيح قبل شق فقال له :
اني قد رأيت رؤيا هالتي وفظعت بها فأخبرني بها فانك ان اصبتها اصبت
تأويلها . قال : أفعل . حممه ، خرجت من ظامه ، فوقمت بارض تهمه
فأكلت منها كل ذات حجمه . فقال له الملك : ما أخطأت منها شيئاً
يا سطيح ، فما عندك في تأويلها ؟ فقال : أحلف بما بين الحرتين من حشّ ،

لينزلن أرضكم الحبش ، وليلكن ما بين أيين الى جرش . فقال له الملك وأبيك ياسطيح ، ان هذا لنا لغائظ موجه فمتى هو كائن أ في زماني ام بعده ؟ قال : لا بل بعده بحين ، أكثر من ستين او سبعين يمضين من السنين . قال : أ فيدوم ذلك من ملكهم ام ينقطع ؟ قال : بل ينقطع لبضع وسبعين من السنين ، ثم يقتلون ويخرجون منها هارين . قال : ومن يلي ذلك من قتلهم واخراجهم ؟ قال : يليه أرم ذي يزن ، يخرج عليهم من عدن ، فلا يترك منهم احداً باليمن . قال : أ فيدوم ذلك من سلطانه او ينقطع ، قال : بل ينقطع ، قال ومن يقطعه ؟ قال : نبي زكي يأتيه الوحي ، من قبل العلي . قال : وممن يكون هذا النبي ؟ قال : رجل من ولد غالب بن مالك بن فهر بن النضر ، يكون الملك في قومه الى آخر الدهر . قال وهل للدهر من آخر ؟ قال : نعم يوم يجمع فيه المحسنون ويشقى فيه المسيئون . قال أ حق ما تخبرني ؟ قال نعم والشفق والغسق والفلق اذا اتسق ان ما انبأتك به لحق . ثم قدم عليه شق فقال له كقوله لسطيح وكنتم ما قال سطيح لينظر أيتفقان ام يختلفان قال نعم رأيت حمه نخرجت من ظلمه فوهمت بين روضة وامه فاكلت منها كل ذات نسمة . فلما قال له ذلك عرف انهما قد اتفقا وان قولها واحد الا ان سطيحاً قال وقعت بارض تهمة ، فأكلت كل ذات ججمه . وقال شق وقعت بين روضة وامه فاكلت منها كل ذات نسمة . فقال له الملك ما اخطأت يا شق منها شيئاً فما عندك في تأويلها؟ قال احلف بما بين الحرتين من انسان لينزلن أرضكم السودان ، وليغلبن على كل طفلة البنان وليلكن

ما بين أئين الى نجران . فقال له الملك وأبيك يا شق ان هذا لنا لغائظ
 موجع فمتى هو كائن أفي زماني ام بعده؟ قال لا بل بعده بزمان ثم يستنقذكم
 منهم عظيم ذو شأن وينديقهم اشد الهوان قال ومن هذا العظيم الشأن
 قال غلام ليس بدني ولا مدن يخرج من بيت ذي وزن قال أفيدوم
 سلطانه ام ينقطع قال بل ينقطع برسول مرسل يأتي بالحق والعدل بين
 اهل الدين والفضل ، يكون الملك في قومه الى يوم الفصل . قال وما يوم
 الفصل؟ قال يوم تجزي فيه الولات تدعى فيه من السماء بدعوات يسمع
 منها الاحياء والاموات ويجمع فيه الناس ليوم الميقات؛ يكون فيه لمن اتقى
 الفوز والخيرات . قال أحق ما تقول؟ قال اي ورب السماء والارض وما
 بينهما من رفع وخفض ان ما انباتك لحق ما فيه أمض

وروى الأزهري باسناده عن مخزوم بن هانيء المخزومي عن أبيه
 قال : لما كانت الليلة التي ولد فيها سيدنا محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم
 ارتجس ديوان كسرى وسقطت منه اربع عشرة شرفة وخدمت نار فارس
 ولم تخمد قبل ذلك مائة عام ، وغاضت بحيرة ساوة ورأى الموبذان ابلاً
 صعباً تقود خيلاً عرباً قد قطعت درجلة وانتشرت في بلادها فلما اصبح
 كسرى أفزعهُ ما رأى فلبس تاجه وأخبر مرزبته بما رأى ، فورد عليه
 كتاب بنحمود النار . فقال الموبذان وأنا رأيت في هذه الليلة وقص عليه
 رؤياه في الابل . فقال له وأي شيء يكون هذا؟ قال حادث من ناحية
 العرب فبعث كسرى الى النعمان بن المنذر أن ابعث اليّ برجل عالم ليخبرني
 عما أسأله . فوجه اليه بعبد المسيح بن عمرو بن نفيلة الغساني ، فأخبره بما

رأى فقال : علمُ هذا عند خالي سطيح قال : فآتهِ وسلهُ وأتني بجوابهِ .
فقدم على سطيح وقد أشفى على الموت فأنشأ يقول :

أصمَّ أم يسمع غطريف اليمين	أم فادَ فأزلمَّ بهِ شأو العنين ؟
يا فاصل الخطة أعت من ومن	أناك شيخ الحي من آل سنن
رسول قَيل العُجم يسري للوسن	وأمه من آل ذئب بن حجَن
ايضُ فضفاضُ الرداء والبدن	تجوب بي الأرض علنداة سُرن
ترفعي وجناً وتهوى بي وجن	حتى أتني عاري الجآجي والقطن
لا يهرب الرعد ولا ريب الزمن	تلقهُ في الريح بوغاه الدمن

كأنما نُحجبت من حضني تكن

قال . فاما سمع سطيح شعره رفع رأسه فقال : عبد المسيح على جمل
مُسيح الى سطيح وقد أوفى على الضريح بعثك ملك بني ساسان لارتجاس
الايوان ، وخمود النيران ورؤيا الموبدان . رأى ابلاً صعباً تقود خيلاً عرباً
يا عبد المسيح اذا كثرت التلاوة وبعث صاحب الهراوة وغاضت بحيرة
ساوة ، فليست بابل للفرس مقاماً ، ولا الشام لسطيح شاماً ، يملك منهم
ملوك وملكات على عدد الشرفات ، وكل ما هو آت آت . ثم قبض
سطيح مكانه . فكان ذلك آخر ما تكهن بهِ ونهض عبد المسيح الى
راحلتِهِ وهو يقول :

شعر فأنك ما عُمّرت شمير	لا يفرعنك تفريق وتغيير
ان يمس ملك بني ساسان أفرطهم	فان ذا الدهر اطوار دهارير
فربما ربما أضحوا بمنزلة	تخاف صولهم اسد مهاصيلير
منهم اخو الصرح بهرام واخوتهم	وهرمزان وسابور وسابور

والناس اولاد علاتٍ فمن علموا أن قد أقلّ فمهجورٌ ومحذورٌ
 وهم بنو الأم لسا ان رأوا نشباً فذاك بالغيب محفوظٌ ومنصورٌ
 والخير والشرّ مقرونان في قرْنٍ فالخير متّبِعٌ والشرّ محذورٌ

فلما قدم على كسرى اخبره بقول سطيح فقال كسرى : الى ان يملك
 منا اربعة عشر ملكاً تكون امور . فملك منهم عشرة في اربع سنين وملك
 الباقيون الى زمن عثمان . وكان من أمر انقلاب دولتهم ما كان^(١)

اسكندر عموره

نابوليون الأول وحرب روسيا

وضع الكونت لاون تولستوي، الكاتب الروسي المشهور، كتاباً تحت عنوان
 « نابوليون وحرب روسيا » وصف فيه فظائع تلك الحرب الهائلة بأسلوب انتقادي
 خطأً فيه مزاعم معظم المؤرخين الفرنسيين والروس الذين أسهبوا في الكلام على
 تلك الحرب، وسفه آراءهم من مثل ايجاد مؤرخي الفرنسيين أعذاراً لعاهلهم تنصله
 من تبعه تلك الحملة التي هلكت فيها مئات الالوف من البشر، وانفقت في سبيلها
 القناطير المقنطرة من المال، ومثل ادعاء مؤرخي الروس ان قبصرهم وقادة جيوشه
 تمكنوا بدهائهم من القاء الفرنسيين في تلك الورطة التي فطرت فاها وابتلعتهم . ولما
 كان تولستوي ينظر الى نابوليون بغير المقلّة التي ينظر بها اليه السواد الأعظم من
 بني الطينة، أحيينا ان ننقل لقراء « الزهور » الكرام الفصل الاخير من الكتاب
 المذكور ونشره لهم على علاته، فاسحين على صفحات هذه المجلة مجالاً لأقلامهم

(١) لهذا الفصل بقية سننشرها في الجزء الآتي مع فصول اخرى كتبها عمون بك

في مباحث شتى عن العرب قبل الاسلام كما أشرنا الى ذلك